غرام الكبار

obeikan.com

obeikan.com

عشقها بلا هوادة .. وسفح فيها الشعر والكرامة .. وحين فقد الأمل في قلبها انصرف إلى الكوكايين فاتخذه صديقاً ورفيقاً ومؤنساً علّه ينسى صراع الكبار عليها في الصالون الأشهر .. وأخيراً سقط صريع الموت ليكون من ضحايا مي زيادة !!

وهو الوحيد الذي اتشحت عليه السواد طويلاً .

فهل كان ولي الدين يكن الشاعر الفذ هو أول لعنات مي ؟!

حيث بدأ العد التنازلي لأحزانها الجِسام فلحق بها أبويها وجبران !!

فمَنْ هو ولي الدين يكن ؟!

...

هو .. ولي الدين يكن تركيّ الأب شركسيّ الأم .. شاعر كبير .. ولد في استانبول عام ١٨٧٣ وانتقل إلى مصر مع والده لما ارتحل هذا الأخير إليها. كان لا يزال طفلاً في السّادسة من عمره لما توفي والده عام ١٨٧٩ فكَفِله والعائلة عمه علي باشا يكن ناظر المالية المصرية.

ضُمّ ولي الدين يكن إلى «مدرسة الأناجل» وهي المدرسة التي كان االخديوي توفيق قد أنشأها لتعليم ابنيه وبعض أولاد الأسرة العلوية. وبين هذه المدرسة ومدرسة مارسيل العالم الفرنسي الذي كانت مدرسته تُعلّم الفرنسية والمدارس الأميرية بعد ذلك خرَج ولي الدّين وقد أتقن العربية والتركية وأَحْكَم الفرنسية وألمّ بالإنكليزية واليونانية.

ونفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيواس سنة ١٩٠٢ فاستمر إلى أن أعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ فانتقل إلى مصر .

وعمل في وزاره الحقانية سنة (١٩٢٤) فعين سكرتيراً عربياً لديوان الأمناء ومرض وابتلي بالكوكايين فقعد عن العمل (١٩١٩) وقصد حلوان مستشفياً فتوفي

بها ودفن في القاهرة.

ويبدو أنّ نزعة ولي الدين نحو الكتابة جاءت نتيجة رغبة نفسية داخلية. فهو لما يبلغ العشرين أخذ يكتب المقالات في الموضوعات المتنوّعة ويبعث بها إلى الصحف المصرية. كتب في السياسة وفي الأدب وطَرَق شؤونًا اجتماعيةً وبلغ به الأمر أن أصدر في هذا الوقت المبكر مساهمةً مع الصحفي يوسف فتحي بك جريدة «المقياس». بعد ذلك أُلحِقَ بالقسم الأجنبي في معيّة الخديوي السّنية وكان في العشرين من عمره.

زار ولي الدين يكن استانبول سنة ١٨٩٦ وقضى سنة كان لها أثر كبير في نفسه إذ أغنت تجاربه.

وسافر إلى الأستانة مرتين (سنة ١٣١٤ - ١٣١٦هـ) وعين في الثانية عضواً في مجلس المعارف الكبير .

وعاد إلى مصر وقد أدرك من اضطراب الأمور في عاصمة الدولة العثمانية ما حمله على الإندفاع في الدعوة إلى الإصلاح فأنشأ جريدةً دعاها «الإستقامة» حتى أصبحت منبره الخاص. لكن هذا المنبر لم يرق لأوّلي الأمر في استانبول فمُنِعَت «الإستقامة» من الدخول إلى الولايات فأوقفها صاحبها مُكرَهًا. لكن قلمه كان قد اعتاد على الكتابة فلا سبيل إلى وقفه. كانت جريدة «المشير» وجريدة «المقطم» وجريدة «القانون الأساسي» ميدانًا لما يكتب.

عاد ولي الدين إلى استانبول ووُظِّف في الدولة عضوٌ في مجلس المعارف الأعلى. لكنّ ذلك لم يشفع لماضيه الذي كان ممسوسًا بأنه دفاع عن الحرية لذلك أُلقيَ عليه القبض سنة ١٩٠٢. وبعد أن قضى بعض الوقت في سجنٍ ضيّقٍ نُفِيَ إلى سيواس وظلّ هناك إلى سنة ١٩٠٨. لكن لما وصل سيواس منفيًا عيّنته الحكومة العثمانية في

منصبٍ محترمٍ. وجاءت سنة ١٩٠٨ وأُعلِنَ الدستور وخرج ولي الدين من منفاه وعاد إلى إستانبول ولكن إقامته فيها لم تطل فاتجه إلى مصر واستقرّ هناك.

كان ولي الدين كاتب المقالة في عصره. وجميع الكتب التي ظهرت له في حياته وبعد وفاته هي مجموعات من المقالات باستثناء رواية «دكران ورائف» وهي رواية اجتماعية. وقد كتب المقالة كثيرون ممن عاصروا ولي الدين لكنه تميّز في أنه كتب في جميع أنواع الموضوعات. فمقالته كانت شاملة كما أن مقالاته كانت مثل أشعاره تكشف عن أمرين امتزجا معًا بشكلٍ ملحوظٍ: المنطق السّويّ والعاطفة الجائشة إضافة إلى الأسلوب السّاخر الذي تناول فيه حديثي النعمة.

لولي الدين يكن الآثار المطبوعة التالية: «المعلوم والمجهول» «الصحائف السود» «التجاريب» «خواطر نيازي»(المترجمة إلى التركية) «الديوان»(الذي جمعه أخوه يوسف حمدي يكن) «دكران رائف» وهي جميعها مقالات أو قصائد. وولي الدين ينتقل في مقالاته من الشّعر إلى النّثر ومن النثر إلى الشعر على أهون سبيل .

ولي الدين وغرام مي زيادة

قال فيها شعراً وسفح فيها شعوراً فماذا قال :

أتسقم مـيّ وأبقى صحيحاً ... ألا أنني الصاحب الخائن
فيا ويح قلبي من غادر ... لقد غر بالمسكن الساكن
إذا لم يكن مان في وده ... فها هو في عهده مائن
فيا رب هب لي مواجع مي ... بأضعاف ما يزن الوازن
وهب من حياتي حياة لها ... وإني لأمثالها ضامن
لها من أمانك ركن منيع ... ومن أنت أمنته آمن

بالرغم من سنواته القليلة وقصارها الا أنه أخذ مكانته العظيمة في تاريخ الشعر

العربي لموهبته التي ظهرت وهو فتى

وبدأت بكتابة المقالات والشعر في صحف زمانه على الرغم من أنه لم ينل حقه المطلوب من الشهرة خاصة في الأوساط الثقافية .. إنْ ولي الدين يكن شاعر يعتبر من رواد عصر النهضة ولد في الآستانة وجاء إلى القاهرة طفلاً وعندما توفي والده رعاه عمه وعندما لاحظ ميوله شجعه ورعاه فكانت كل قصيدة أو مقالة يكتبها تلقى الشهرة وكانت الحرية والعدالة والوقوف في وجه الظلم وفضح الجهل الهواجس التي كانت تشغل قلمه وقد نفي أبان عهد السلطان عبد الحميد إلى مدينة سيواس وذلك لكلمته الجريئة ورغم منصبه في مجلس المعارف الكبير إلا انه لم يشفع له المنصب فنفي .. بعد عودته أسس صحيفة خاصة سماها الاستقامة وأصدر أكثر من عدد ولكن السلطات العثمانية منعت دخولها إلى الممالك العثمانية ما دفعه الى التوقف عن إصدارها وكتب شبه مرثية لتلك الصحيفة التي أحب وكانت أمله في الكلمة وبالرغم من عزوفه عن الكتابة الا انه لم يستطع الابتعاد عنها كثيراً ورغم سنوات عمره التي لم تتجاوز الخمسين فقد ترك أكثر من مؤلف نثري وشعري وترجم كتباً عديدة عن الفرنسية والتركية ثم رحل عام ١٩٢١ نتيجة إصابته بالربو وترك لنا أشعاراً كثيرة تعتبر إحدى ارهاصات الشعر العربي الحديث وقصة غرامه بمي الذي قتله هواها حين انصرف للكوكاكيين حتى ينسى زحمة رجال صالونها فيها وتصارعهم عليها .

■ ■ ■